النقيب يسري عمارة

وكانت معركة الفرقة الثانية مشاة في "الفردان" والتي سُحق علـــى أثرهـــا اللواء ١٩٠ المدرع الإسرائيلي ، وغيرها من المعـــارك علـــى القطاعـــات الأخرى تصعيدًا متتابعًا لأعمال القتال وتطورًا للتوغل المصري في ســـيناء والتشبث المصري المستميت بأرضها ، وكان ذلك إيذانًا باندلاع واحدة مـــن أشرس المعارك في التاريخ .. وهي معركة الدبابات الشهيرة .

معركة الدبابات :

لقد اقتضت الضرورة الحربية أن يقوم الجيش المصري بتطوير أوضاع القتال داخل سيناء ، خاصة وأن إسرائيل كانت تقاتل على جبهتين وكان قرارها أن تضغط بقوتها على الجبهة السورية لتحقق تفوقًا عليها ثم تتفرغ للجبهة المصرية مع عدم إهمالها خاصة وأن إسرائيل تواجه القوات المسلحة المصرية بما يزيد عن نصف جيشها .

فقد جاء في كتاب " يوم كبور " (عيد الغفران) في أحد فصوله تحت عنوان " وثيقة بالغة السرية " على لسان "موشى ديان" وزير الدافاع الإسرائيلي قال فيها : " لدينا جبهتان : جبهة مصرية وأخرى سورية .. إننا نريد تحييد الجبهة السورية ، فهذا أمر له من وجهة نظري الأفضلية الأولى ، فمن جهة لأنها ملاصقة لبلادنا تمامًا ، ولقد نجحنا في إيقاف الهجمات السورية التي لو نجحت في أن تتمركز على جبال الجولان فيسكون متاحًا لها قصف سهل "الحولة" بأكمله داخل أراضينا ، أما مع المصريين فإن المشكلة مختلفة ، إنها بطبيعة الحال مشكلة كبيرة ولكنها لن تعرِّض إسرائيل وشعبها للهلاك في المدى القريب " .

لذا قررت إسرائيل الإلقاء بثقلها على الجبهة السورية خوفًا من استيلاء السوريين على مرتفعات جولان مما يهدد بنقل المعركة إلى قلب إسرائيل وهذا يشكل خطورة كبيرة على المستعمرات الإسرائيلية ، كما أنها رأت أن جدار الدفاع الجوي المصري لا يغطي سوى عمق بسيط شرق القناة لهذا تحتاج القوات المصرية أن تنقل صواريخها شرق القناة لتغطي الوقاية الكافية لقواتها أثناء تطوير الهجوم شرقًا وهذا يتطلب وقتًا وجهدًا ،

كما أن تقدِّم القوات المصرية إلى المضايق في سيناء يحتاج إلى إعداد طويل ..

وقد قدَّرت القيادة المصرية الموقف واتضح لها نية القيادة الإسرائيلية فقررت التعجيل بتطوير الهجوم شرقًا للتخفيف على الجبهة السورية من جهة والتوسع في سيناء من جهة أخرى فدفعت مفارز من القوات المدرعة والميكانيكية للسيطرة على المداخل الغربية للمضايق وتدمير القوات المدرعة الإسرائيلية في معارك تصادمية ناجحة والاستيلاء على الطريق العرضي الذي يقع على عمق ٣٠ كم شرق القناة ، وبذلك يتحتم على العدو أن ينسحب شرقًا إلى خطوط خط المضايق ويحاول أن ينظم دفاعاته بها ليمنع القوات المسلحة المصرية من اقتحامها ، وعند ذلك يبدأ تنظيم معركة المضايق وفقًا للخطة الموضوعة .

وفي ١١ أكتوبر كان معدل الهجوم السوري قد بدأ ينخفض نتيجة شدة المقاومة من جانب العدو الإسرائيلي ، واتخذت القوات المسلحة المصرية القرار ، وبدأت عملية تطوير الهجوم شرقًا في الساعة السادسة والنصف من صباح يوم ١٤ أكتوبر في أربعة اتجاهات رئيسة :

- الهجوم بقوة لواء مدرع في اتجاه "بالوظة ــ رمانة" .
- الهجوم بقوة فرقة مدرعة في اتجاه "الطاسة" على المحور الأوسط .
- الهجوم بقوة لواء ميكانيكي في اتجاه "وادي الجدي" .
- الهجوم بقوة لواء مدرع مدعم بكتيبة مشاة ميكانيكية في اتجاه ممر متلا .

تقدَّمت هذه القوات وكان تشكيلها الفرقة الثانية مشاة يقودها العميد / حسن أبوسعدة في شجاعة وجرأة شديدة وخبرات واسعة اكتسابها في القتال العدو الإسرائيلي ..

ونشبت معركة الدبابات التي لم يشهد لها في الشرق الأوسط مثيلاً ، لقد أجمع الخبراء العسكريون العالميون أن معركة المدرعات في سيناء هي الأشرس في تاريخ الحروب بل هي الأشرس من معركتي "العلمين" و"ستالينجراد" ، فقد كان عدد الدبابات التابعة للحلفاء بقيادة "مونتجمري" في "العلمين" لا تزيد عن ١٢٠٠ دبابة و٢٠٠ مدفع ميدان ، أما معارك سيناء فقد اشتركت بها أكثر من ألفي دبابة ، بل أن معركة واحدة منها اشترك فيها ما يصل إلى ٨٠٠ دبابة من كل طرف من طرفي القتال ..

ولم يأت هذا الهجوم من فترة هدوء قتال لأن القتال كان مستمرًا وعنيفًا منذ اليوم الأول ، ولكن هذا الهجوم كان تصعيدًا كبيرًا للقتال في حرب أكتوبر ، وبدأت مصر لمدة يومين تدفع بقواتها عبر المعابر لتتخذ أوضاعها للهجوم في حين كانت إسرائيل تحاول أن تسابق الزمن بجذب مدرعاتها من الجبهة السورية لمواجهة الموقف الذي يوشك على الانهيار على الجبهة المصرية ، واستعانت إسرائيل بالترسانة الأمريكية التي سارعت إلى نجدتها بدفع أعدادٍ ضخمة من المدرعات وطائرات (الفانتوم) ..

وفي ظهر يوم ١٣ أكتوبر وصلت معلومات تفيد بعبور ألوية مدرعة إسرائيلية للمضايق لمقابلة الهجوم المصري .. لقد ابتلع العدو الطعم وبدأ

يسحب احتياطياته وقواته من أمام الجبهة السورية وكان ذلك دلالة على نجاح المخطط المصري .

وبدأت هذه المعركة الرهيبة في فجر يوم ١٤ أكتوبر حيث دفع العدو الإسرائيلي بكل ما لديه من احتياطي المدرعات والصواريخ والأسلحة المعاونة بما فيها الطائرات في اتجاه القوات المصرية التي وسَّعت هجومها ، وبدأ الهجوم المصري الجديد بقصفة نيران قوية لتأمين دفع مفارز المدرعات تلتها الدبابات لتدور أقوى معارك الدبابات في تاريخ الحروب الحديثة

فقد تقدَّمت الدبابات المصرية في مواجهة الدبابات الإسرائيلية في هجوم كاسح رهيب ، ويمكن تشبيه هذه النوعية من الحروب بمباراة حامية في الشطرنج يحاول كل طرف فيها أن يناور ويحاور ويداور ليحصل على ميزة تمكنه من توجيه ضربات قوية مفاجئة لخصمه لا يمكنه الرد عليها ، وعلى رجل المدرعات أن يستغل الإمكانيات الميكانيكية والقتالية المتاحة لدبابته إلى أقصى حد ، لذلك تُصنع الدبابة بالشكل الذي يعطيها السرعة والقوة معًا ، ويكفي أن تتصور مدى قوة الدبابة التي تحمل وتحرك وزنًا كبيرًا من الدروع تبلغ ٣٠ ــ ٥٠ طنًا من الصلب إذا علمتَ أن الصدمة الناتجة عن مدفعها القوي عند الضرب والتي تصل إلى ما يعادل وزنها تقريبًا ، ورغم قوة الدبابة ومناعة دروعها إلا أنها لا يمكن أن تكون آمنة تمامًا ، فمدفع الدبابة (إم ــ ٦٠) وعياره ١٠٥ ملم إذا أُطلق من مسافة ١٥٠٠ م يمكنه أن يخترق درعًا سمكه ٢١ سم ، وعليه فأحسن وقاية للدبابة هو اختفاؤها واستخدامها لطبيعة الأرض ، فثنية أرضية

صغيرة يمكنها إخفاء جزء كبير من الدبابة وقد يكون ذلك سببًا في نجاحها في تدمير دبابة معادية ونجاتها هي من التدمير

وعلى ذلك فمهارة قائد الدبابة وسائقها على درجة كبيرة من الأهمية أو بتعبير آخر فإن التكتيكات الصغرى في معارك الدبابات تعتبر حيوية للغاية ، فقائد فصيلة أو سرية أو سرب دبابات كفء هو الذي يمكنه أن يستغل مهارة رجاله في التكتيكات الصغرى ويستفيد من الأرض الميتة وطرق الاقتراب المستورة ليصل إلى أنسب مكان لمهاجمة العدو دون كشف تحركاته ، ويمكن لسرية واحدة على هذه الدرجة من المهارة أن تدمر كتيبة دبابات كاملة

هذا إلى جانب المقذوفات الموجهة المضادة للدبابات التي شهدت تطورًا كبيرًا مما يجعلها تشكل خطرً داهمًا على الدبابة ، فهي ذات مدى أبعد من مدى مدفع الدبابة ، حيث يصل مدى تلك المقذوفات إلى ضعف مرمى مدفع الدبابة ، ولها دقة عالية في التصويب فهي قادرة على الحصول على إصابة الهدف إصابة مباشرة من الضربة الأولى ، فطلقة المدفع المضاد للدبابات التي تُطلق من مسافة معقولة يمكنها أن تخترق ضعف قطرها على الأقل

لقد كانت حرب أكتوبر أول اختبار فعلي لسلاح المقذوفات المضادة للدبابات لذلك فقد تهافتت دول العالم على مصر لتتعرف على خبراتها في استخدام هذا السلاح الذي حسم معارك الدبابات لصالحها دائمًا

طاقم إحدى الدبابات المشاركة في معركة الدبابات بعمق سيناء

حيث برز أبطال كبار أجادوا استخدام هذا السلاح الفعال وأذاقوا العدو الهوان وكان لهم دور حاسم في قلب المعركة لصالحنا أمثال البطل محمد المصري الذي دمَّر ٢٧ دبابة ومدرعة منها ست دبابات للواء ١٩٠ مدرع من بينها دبابة "عساف ياجوري" قائد اللواء يوم الثامن من أكتوبر ، وفي يوم ١٢ أكتوبر تمكَّن من تدمير ست دبابات أخرى عندما تقدَّم في قواته لاحتلال إحدى التباب واشتبك مع العدو ، وفي يوم ١٤ أكتوبر دمَّر عشر دبابات أخرى ومصرع "إبراهام مندلر" القائد العام للمدرعات الإسرائيلية وظهر ذلك واضحًا في خطاب "موشى ديان" وزير الدفاع الإسرائيلي في أعقاب مصرع قائد المدرعات قال فيها : " .. إن

إسرائيل تخوض الآن حربًا لم تحارب مثلها من قبل وهي حرب صعبة ، ومعارك المدرعات فيها قاسية والمعارك الجوية مريرة ، وهي حرب ثقيلة بأيامها وثقيلة بدمائها وليس أمامنا إلا أن نقاتل بقلوب كسيرة ، وعلينا أن نطوي قلوبنا على الأحزان .. "

وأطلق البطل قذائفه فدمَّر عددًا كبيرًا منها في الثغرة .. ومن أبطالنا من قناصة الدبابات البطل عبد العاطي الذي استطاع أن يدمر وحده ٢١ مدرعة ودبابة ، وتمكن غيرهما بعض جنودنا البواسل أن يدمِّروا أعدادًا كبيرة من دبابات العدو ومدرعاته .

لقد كانت معارك الدبابات معارك تصادمية بالغة العنف والشراسة اشترك فيها آلاف من الرجال والدبابات والعربات المجنزرة ووحدات المدفعية والصواريخ المضادة للطائرات والمدرعات ، وقد وصف المراسلون الأجانب هذه المعارك التي استمرت حتى يوم ٢٢ أكتوبر بأنها حولت القطاع الأوسط من سيناء إلى جحيم لم يتوقف سعيره دقيقة واحدة من ليلٍ أو نهارٍ

ولعل ما ذكره الجنرال الإسرائيلي "جونين" قائد القوات الإسرائيلية بجبهة سيناء في هذه الحرب ، يلخص هذه المعارك ويقول : " إن المصريين يحاربوننا بعنف ، إنهم يفعلون كما فعل الصينيون في حرب كوريا ، إنهم يحاربون بموجات وراء موجات ، بهجمات تتسم بالعناد الشديد .. " ، لقد كانت الدبابات المصرية تتقدَّم صوب الدبابات الإسرائيلية حتى مسافات قريبة جدًا تري أن تطحنها إذا لم تتمكن من إصابتها ..

ومما زاد هذه المعارك قوة وشراسة المساعدات الأمريكية التـــي تـــدفقت بغزارة على الجيش الإسرائيلي من طائرات ومدرعات ..

أحد الأسرى الإسرائيليين أُسر بمعارك الدبابات